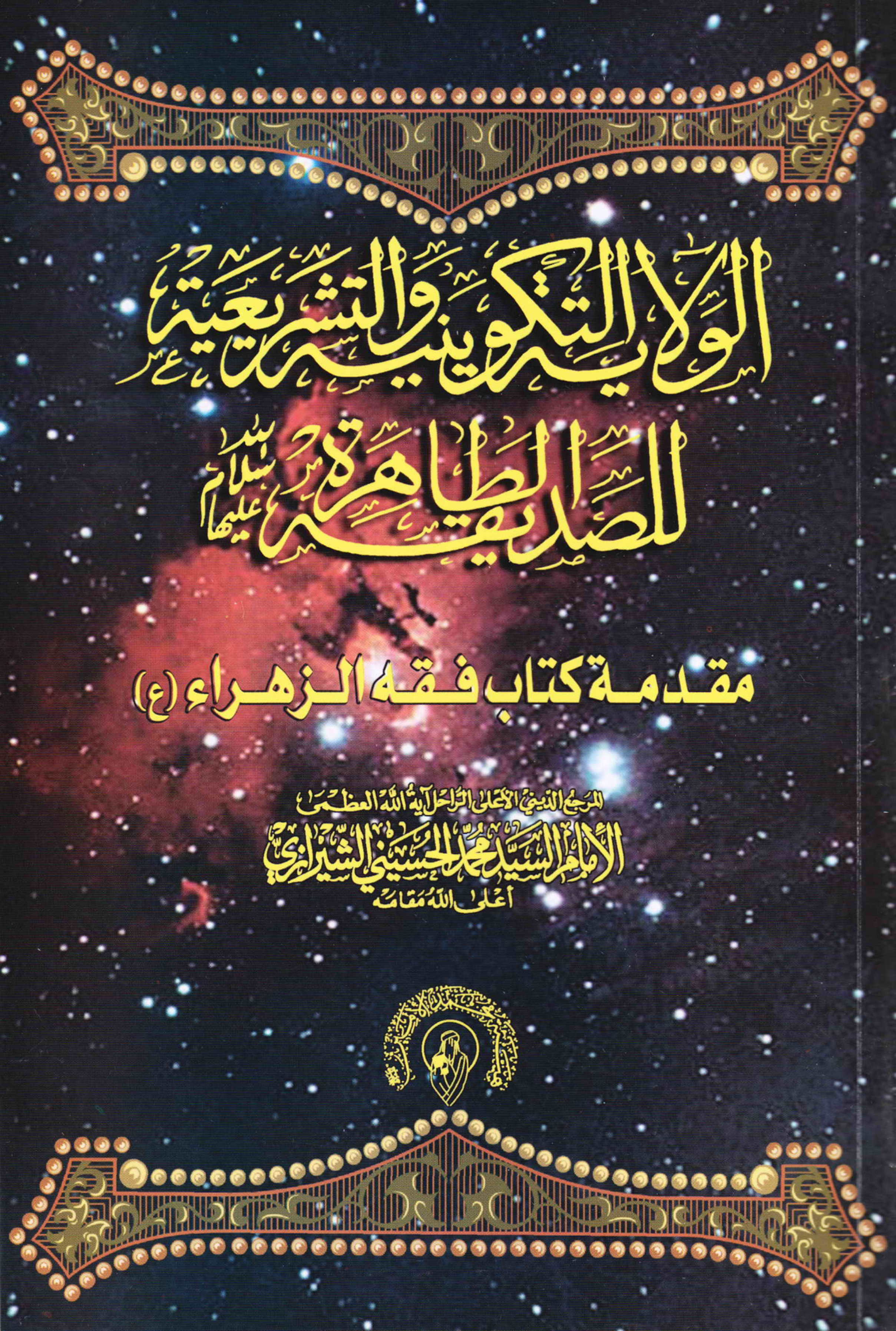

الولاية التكوينية والتشريعية
للصديقة الطاهرة عليها السلام
مقدمة كتاب فقه الزهراء (ع)
المرجع الديني الأعلى الراحل آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
أعلى الله مقامه




# الولاية التكوينية والتشريعية للصديقة الطاهرة عليها السلام

## مقدمة كتاب فقه الزهراء (ع)

المرجع الديني الأعلى الراحل آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
أعلى الله مقامه








## المقدمة

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، سيما المحدّثة العليمة، التقية النقية، الرضية المرضية، الصدّيقة الكبرى، فاطمة الزهراء «صلوات الله عليها»، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

.. ان سيدة النساء فاطمة الزهراء «سلام الله عليها» مجهولة قدراً ومهضومة حقاً، ولعلّ من مصاديق مجهولية قدرها عدم الإستفادة من كلماتها وخطبها في: «الفقه» وعدم ادراجها ضمن الادلة أو المؤيدات التي يُعتمد عليها في استنباط الأحكام الشرعية، ولذلك فقد استعنت بالباري جلّ وعلا في الكتابة حول ذلك[1] رجاء المثوبة وأداءً لبعض الواجب والله الموفّق.

والروايات المذكورة في هذا الكتاب بعضها صحيح من حيث السند

---

(١) لقد قام الإمام المؤلف «دام ظله» استخدام أسلوب «فقه الحديث» في تحليل كلماتها ﷺ حيث تناول كل كلمة كلمة بالبحث والدراسة، وربما في العديد من جوانبها وقد ورد في الحديث الشريف: «أنتم أفقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا» [الإختصاص: ص ٨٨] ومن الواضح ان للكلمات دلالات جلية وأخرى خفية، كما ان لها ظهراً وبطناً ويظهر ذلك بجلاء أكبر في آيات الذكر الحكيم وفي القواعد الفقهية.

وبعضها حسن أو موثق وبعضها الآخر وإن لم يطلق عليها ذلك اصطلاحاً ـ حسب ما جرى عليه علماء الدراية والرجال ـ إلا ان الغالب منها قد ورد في باب المستحبات والآداب مما يشمله حديث: «من بلغه. . .»[1] وغيره.

بالإضافة إلى الشواهد الكثيرة المؤيدة لها في الآيات والروايات الأخر، وهي قرينة خارجية.

اضافة إلى قوة المضمون في بعضها - وهي قرينة داخلية - مما يجعل للأحكام المذكورة قوة، بحيث تصلح للإستدلال بها أو لاعتبارها مؤيداً على الأقل.

كما ان بعضها يؤيد بنحو الملاكات[2].

وقد ذكرنا في بعض المباحث [3] ان الحجية قد تكون من جهة تمامية السند بمقتضى بناء العقلاء والآيات والروايات، ومنها: قوله عليه السلام: «لا عذر لاحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنّا ثقاتنا»[4] الحديث.

وقد تكون من جهة قوة المتن مما تكون دليلاً على الورود عنهم عليهم السلام وإن لم يكن قوي السند لبناء العقلاء أيضاً، ولشمول ملاك: «ثقاتنا» له[5].

وقد تكون من جهة قوة المؤلف، فيما كان بناء العقلاء الإعتماد على إسناده أو أفاد الإطمينان، وذلك كالشريف الرضي «ره» ونحن نرى حجية نهج البلاغة وإن لم يتسلسل اسناد العديد من الخطب والكلمات الواردة فيها ـ لمجموعة من

---

(١) راجع وسائل الشيعة : ١ / ٥٩ ب ١٨ ح ١ ط اسلامية .

(٢) ربما يكون المراد تنقيح المناط، أو كون الحكم المذكور صغرى لكبرى كلية ويكون المراد من الشواهد : المعاضد الموافق.

(٣) راجع «الأصول» و«الوصول إلى كفاية الأصول» للإمام المؤلف «دام ظله».

(٤) وسائل الشيعة : ١٨ / ١٠٨ ب ١١ ح ٤٠ .

(٥) الملاك: «الوثاقة» كما تطرق له الإمام المؤلف «دام ظله» في «الأصول».

القرائن الخارجية والداخلية ـ .

وقد تكون من جهة القرائن الخارجية[١]، كما ذكر ذلك العديد من علماء الأصول.

وقد تكون من جهة الشهرة المضمونية لشمول قوله ﷺ: «خذ بما اشتهر بين أصحابك»[٢] . . «فإن المجمع عليه لاريب فيه».[٣]

وربما يقال بالحجية أو يتعامل مع الحديث التعامل مع الحجة من حيث ترتيب الآثار أو بعضها - على تفصيل مذكور في الفقه والأصول - من جهة التسامح في أدلة السنن.

وقد كتبنا حول هذه القاعدة رسالة مستقلة أدرجناها في شرح الرسائل للشيخ الاعظم الانصاري «قده».[٤]

أما سند حديث الكساء فقد رواه والدي «ره» في رسالة مخطوطة له، بسند صحيح متّصل الاسناد وكل واحد منهم من الاعلام[٥].

وكذلك سند خطبتها «عليها الصلاة والسلام»، فقد رُويت بما لايدع للشك مجالاً، كما لايخفى على من راجع ذلك في مظانه، وسيأتي إن شاء الله تعالى، بالإضافة إلى انطباق مضمونها مع الآيات والروايات ووجود القرائن الداخلية والخارجية.

---

(١) بعض ما سبق وسيأتي من مصاديق ذلك كما لايخفى، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام أو قبله.

(٢) حيث يستفاد الشمول للشهرة الفتوائية ايضاً.

(٣) وسائل الشيعة : ١٨ / ٧٥ ب ٩ ح ١ .

(٤) راجع الوصائل إلى الرسائل : ج ٦ .

(٥) ولهذا الحديث اسناد كثيرة وسيأتي بعد المقدمة ـ أول الفصل الاول ـ الإشارة إلى بعض المصادر في الهامش.

## لمحة عن عظمة الزهراء ﷺ

ومن نافلة القول في المقام الإشارة إلى اننا لم نقم في هذا الكتاب إلاّ بالإلماع إلى هذا البُعد الفقهي مع شيء موجز من الشرح والتوضيح، وإلاّ فهي «صلوات اللّه عليها» اعلى واجلّ من ان اتمكن انا الفقير العاجز عن ذكر بعض ما يليق بمن دارت على معرفتها القرون الأولى[١] ومن هي قطب دائرة الإمكان، كما دل على ذلك قوله تعالى في حديث الكساء: «فاطمة وابوها وبعلها وبنوها».

فإنّ مكانتها وعظمتها «صلوات اللّه عليها» لايمكن أن يستوعبها أي واحد من المخلوقات إلاّ النبي ﷺ والوصي ﷺ فإن الضيّق لايمكن أن يحيط بالواسع وانّى للذرّة ان تحيط بالمجرة؟! وانّى للمغرفة ان تستوعب المحيط؟!

كما قالوا بالنسبة إلى استحالة ادراكنا للّه سبحانه لان اللامتناهي يستحيل ان يحيط به المتناهي المحدود او يدرك كنهه، ولا شك انهم ﷺ ليسوا كاللّه سبحانه في اللاتناهي واللامحدودية إلاّ انه لاشك انهم ﷺ اوسع من الناس الضيقين بما قد يلغى النسبة بين الطرفين ويجعلها ابعد من نسبة القطرة إلى المحيطات، وقد «سميت فاطمة لان الخلق فطموا عن معرفتها» كما في الحديث الشريف[٢].

فإنها «عليها الصلاة والسلام» افضل من الانبياء كافة[٣] باستثناء الرسول ﷺ، كما دلت على ذلك ادلة متعددة، وسياتي ذلك.

وهي «عليها الصلاة والسلام» حجّة على كل اولادها الائمة الطاهرين ﷺ

---

(١) اشارة إلى الحديث المروي عن الإمام الصادق ﷺ: هي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى. «امالي الطوسي ج ٢ ص ٢٨٠ ط قم».

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٢١٨ ط نجف وص ٥٨١ ط طهران.

(٣) سياتي بعد قليل الحديث عن افضليتها ﷺ.

ـ وهم أفضل من الأنبياء والملائكة كافة ـ ولذا قال الإمام العسكري عليه السلام: «وهي حجّة علينا»[١].

وقال الإمام الحجّة «عجل الله تعالى فرجه الشريف»: «وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أُسوة حسنة».[٢]

وقد قال الإمام الحسين عليه السلام: «أُمي خير مني»[٣].

ولها «عليها السلام» الولاية التكوينية بتفويض الله سبحانه لها كتفويضه الولاية لهم عليهم السلام.

أما كونها عليها السلام كسائرهم عليهم السلام في حجية قولها وفعلها وتقريرها فمما قام عليه الإجماع، بالإضافة إلى الادلة الثلاثة الأُخر، وسنذكر شيئاً من الادلة على ما لهم عليهم السلام من الولاية التكوينية والتشريعية، كما نشير إلى بعض مصاديقها حسب ما ذكرناه في كتاب البيع من«الفقه»:[٤]

## الولاية التكوينية والتشريعية و...

فإن الصديقة الطاهرة عليها السلام كسائر المعصومين عليهم السلام لها الولاية التكوينية والتشريعية، وهي «صلوات الله عليها» وكذلك سائر أهل البيت عليهم السلام قد جعلهم الله الوسائط في خلق العالم والعلة الغائية له[٥] كما انها وانهم عليهم السلام سبب لطف الله تعالى وإفاضته على العالم، واستمرار قيام العالم بها وبهم عليهم السلام، وقد صرح

(١) كتاب تفسير أطيب البيان: ج ١٣ ص ٢٢٥.

(٢) بحار الانوار: ج٥٣ ص ١٧٨ ح ٩ ب ٣١ ط بيروت.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد ص ٢٣٢ ط بيروت.

(٤) موسوعة الفقه، كتاب البيع، الجزء الرابع.

(٥) سياتي هذا البحث تفصيلاً، فراجع ما سياتي من بحث «لاجلهم» و«محبّتهم» وغيرهما.

بذلك في الادلة الشرعية[١] فلولاهم لساخت الارض[٢]، وكونهم ﷺ سبب القيام كما ان الجاذبية والقوة الطاردة أو العناصر الاربعة سبب القيام المادي بحيث لولاها لساخت الارض وانهدم العالم.

وكونهم ﷺ واسطة الفيض كما في حديث الكساء[٣] وغيره، وانه لولاهم لم يجر فيض الله سبحانه على هذا العالم القائم فرضاً.

كما انها «صلوات الله عليها» تعلم الغيب كسائر المعصومين ﷺ حسب مشيئته سبحانه.

ولها ولهم ﷺ الولاية التكوينية ومعناها: ان زمام العالم بأيديهم ﷺ ومنهم فاطمة «سلام الله عليها» حسب جعل الله سبحانه، كما ان زمام الإماتة بيد عزرائيل، فلهم ﷺ التصرف فيها ايجاداً وإعداماً، لكن من الواضح ان قلوبهم أوعية مشيئة الله تعالى[٤]، فكما منح الله سبحانه القدرة للإنسان على الأفعال الإختيارية منحهم ﷺ القدرة على التصرف في الكون.

وما نذكره يشمل كل المعصومين ﷺ، فإن كل الصلاحيات التي كانت للأنبياء ﷺ ثابتة للمعصومين ﷺ ايضاً، لأنهم أفضل منهم، وفاطمة «صلوات الله عليها» أفضل من جميع الانبياء ﷺ إلاّ الرسول ﷺ:

لأنها «سلام الله عليها» بضعة منه[٥]، لا البضعة المادية فقط، بل المعنوية

---

(١) سيأتي الحديث عن الأدلة على ذلك بعد صفحات، كما سيتطرق لذلك في مطاوي الكتاب، وراجع العبقات والبحار - عند الحديث عنهم ﷺ وكذا عن خلق العالم - وكفاية الموحّدين ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ودلائل الصدق للمظفر إلى غيرها من الكتب الكلامية.

(٢) الكافي: ١/ ١٧٩ ح ١٠.

(٣) الدعاء والزيارة ص ٨٠٥ وملحق مفاتيح الجنان وسائر المصادر المذكورة في هذا الكتاب.

(٤) بحار الانوار: ٢٥/٣٣٦، ح ١٦ ب ١٠ ط بيروت.

(٥) المستدرك: ١٤/١٨٢ ح ١٦٤٥٢ ب ٢١. احقاق الحق: ١٠/ ٢٢٥-٢٢٨

أيضاً، إذا لا يترتب على المادية تلك الآثار التي رتبها الرسول ﷺ عليها، وإذا كان ﷺ افضل من جميع الانبياء فبضعته كذلك، فتامل.

وهناك روايات عديدة يمكن القول بانها متواترة ولو اجمالاً، ومحتفة بالقرائن المعتبرة تدل على أفضليتها «صلوات الله عليها» من جميع الانبياء ﷺ إلاّ الرسول الاعظم ﷺ وهي على طوائف:

فمنها: ما دل على كون طاعتها مفروضة على جميع الخلائق والانبياء ﷺ.

فعن أبي جعفر الباقر ﷺ: «ولقد كانت ﷺ مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والانبياء والملائكة...».(١)

ومنها: ما دل على اطلاع الله تعالى على الخلق واختيارهم.

فقد قال الرسول الاعظم ﷺ لعلي ﷺ: «ان الله عزّوجل اشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين، ثم اطلع الثالثة فاختار الأئمة من وُلدِك على رجال العالمين، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين».(٢)

مع ملاحظة وحدة السياق معه ﷺ مما يفيد عمومية الافضلية من كل الانبياء وبضميمة ما دل على انها ﷺ أفضل من ابنائها ﷺ.

وفي كمال الدين: «... ثم اطلع إلى الارض اطلاعة ثالثة فاختارك وولديك...»(٣)

ونظيره قوله تعالى: «... يا محمد اني خلقتك وخلقتُ علياً وفاطمة

---

(١) دلائل الإمامة للطبري: ص ٢٨ ط النجف الأشرف.

(٢) زين الفتى للحافظ العاصمي على ما في «فاطمة الزهراء ﷺ» للعلامة الاميني ص ٤٣ طبعة طهران.

(٣) كمال الدين: ص ٢٦٢ ح ١.

والحسن والحسين من سنخ نوري وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرضين فمن قبلها كان عندي من المؤمنين. . . ».[(١)]

ووحدة السياق معه صلى الله عليه وآله والإطلاق يفيد المطلوب.

ومنها : ما دل بالصراحة على الافضلية: مثلاً : قوله صلى الله عليه وآله : «ما تكاملت النبوّة لنبي حتى أقرّ بفضلها ومحبتها»[(٢)] فتامل.

وكذلك الأحاديث الدالة على انه «لولا ان اللّه تعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن لفاطمة عليها السلام كفو على وجه الارض آدم فمن دونه» وهي عديدة.[(٣)]

ومنها : ما يدل بالإلتزام على الافضلية مثل :

أ : الكتابة على ساق العرش والجنّة :

---

(١) هذا الحديث مذكور في الكثير من المصادر إذ هو مذكور في مقتضب الاثر وفي غيبة الطوسي وفي تاويل الآيات وفي مقتل الخوارزمي وفي فرائد السمطين وفي تفسير فرات، فراجع عوالم العلوم تحقيق مؤسسة الإمام المهدي «عج» ص ١٣-١٤.

(٢) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني، كما نقل الحديث القدسي حيث قال تعالى متحدّثاً عن الزهراء عليها السلام: «هذا نوري. . . أفضله على جميع الانبياء. . .»، والحديث مذكور في علل الشرائع ومصباح الانوار أيضاً راجع عوالم العلوم ص ٦١. ونقله في ص ٢٨١ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام، وجاء في لسان الميزان: «. . . لما خلق اللّه آدم وحواء تبخترا في الجنة وقالا: من أحسن منّا؟ فبينما هما كذلك إذ هما بصورة جارية لم ير مثلها، لها نور شعشعاني يكاد يطفي الابصار ، قالا : يا رب ما هذه؟ قال: صورة فاطمة. . .» راجع بهجة قلب المصطفى ص ٧٦.

(٣) راجع فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٨٧ نقلاً عن البحار ج ٤٣ص ١٠٧ و١٠-١١.

وقد نقل هذا الحديث في «عوالم العلوم ، تحقيق مدرسة الإمام المهدي «عج» عن أمالي الصدوق وعلل الشرائع والخصال ودلائل الإمامة هكذا «. . . لما كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الارض آدم فمن دونه» العوالم : ص ٥٢ والتهذيب: ٧/ ٤٧٠ ح٩٠ ب٤١.

فمثلاً: قال رسول اللّه ﷺ: «ليلة عرج بي إلى السماء رايتُ على باب الجنّة مكتوباً: لاإله إلا اللّه، محمد رسول اللّه، علي حبيب اللّه، والحسن والحسين صفوة اللّه، فاطمة خيرة اللّه، على باغضهم لعنة اللّه»(١)

وقال ﷺ: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبّح اللّه فسبحت الملائكة بتسبيحنا قبل ان يخلق اللّه عزوجل آدم بالفي عام، فلما خلق اللّه عزّوجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يؤمروا بالسجود إلاّ لاجلنا...».(٢)

وقال ﷺ: «لما خلق اللّه ابراهيم كشف عن بصره فنظر في جانب العرش نوراً فقال: إلهي وسيّدي ما هذا النور؟ قال: يا ابراهيم هذا نور محمد صفوتي، قال: إلهي وسيدي وأرىٰ نوراً إلى جانبه؟ قال: يا ابراهيم هذا نور علي ناصر ديني، قال: إلهي وسيدي وأرىٰ نوراً ثالثاً يلي النورين؟ قال: يا ابراهيم هذا نور فاطمة تلي أباها وبعلها...».(٣)

ب: والخلقة قبل آدم عليه السلام(٤):

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال رسول اللّه ﷺ: «خلق نور فاطمة قبل أن تخلق الأرض والسماء... خلقها اللّه عزّوجل من نوره قبل أن يخلق

---

(١) تاريخ بغداد: ١/٢٥٩ نقلاً عن فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٢٣.

(٢) تاويل الآيات: ٢/٥٠٩.

(٣) الاربعون لابن أبي الفوارس نقلاً عن العوالم: ص ١٧-١٨، وما شاكل ذلك من الاحاديث كثير، فراجع كشف الغمة: ١/٤٥٦ ومقتضب الاثر وغيبة الطوسي وتاويل الآيات ومقتل الخوارزمي و... ويمكن مراجعة تمام الحديث باسناده في تلك الكتب عبر مراجعة العوالم ص ١٣ - ١٤ ونظيره في علل الشرائع ودلائل الإمامة [العوالم: ص١٩].

(٤) راجع مثلاً: البحار ج ١٥ ص ١٠ ورواية أُخرىٰ في مرآة العقول في مولد النبي ﷺ «راجع الحديثين في كتاب فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٤٠ وص ٨٦ - ٨٧».

آدم. . .»(١)

ج : قصة سفينة نوح : حيث «. . . سمّر المسامير كلها في السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير فضرب بيده إلى مسمار منها فاشرق في يده وأضاء كما يضيء الكوكب الدرّي في أفق السماء. . .» وكان المسمار الأول باسم الرسول صلى الله عليه وآله والثاني باسم الإمام علي عليه السلام والبقية باسم السيدة الزهراء عليها السلام والحسنين عليهما السلام. . . ثم قال صلى الله عليه وآله: «ولولانا ما سارت السفينة بأهلها».(٢)

د : تعليم أسمائهم عليهم السلام للأنبياء عليهم السلام فمثلاً : ورد عن الإمام الحجّة«عج»: ان زكريا عليه السلام سال ربّه ان يعلّمه الاسماء الخمسة. . . الحديث.(٣)

وكذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل**﴾(٤) كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ذرّيتهم.(٥)

هـ : ما ورد في يوم القيامة ومقامها عليها السلام مثل قوله صلى الله عليه وآله: «. . . والذي بعثني بالحق ان جهنم لتزفر زفرة لايبقىٰ ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلا صعق فينادي إليها: أن يا جهنم يقول لك الجبار اسكني بعزّي واستقري حتى تجوز فاطمة بنت

---

(١) معاني الاخبار نقلاً عن العوالم ص ٢٨ ونظيره في مصباح الانوار «العوالم ص ١٥-١٦» وفي فرائد السمطين نقلاً عن أبي هريرة: «لما خلق الله تعالى آدم أبوالبشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً. . .» «العوالم ص١٦-١٧» ونظيره في كمال الدين «العوالم ص ٢٢» وفي الكافي «العوالم ص ٢٤» وغيرها.

(٢) عبقات الانوار: مجلد حديث السفينة، ولا يخفىٰ ما له من الدلالة على ان ببركتهم عليهم السلام وعناية الله بهم نجىٰ نوحاً عليه السلام واصحابه.

(٣) راجع البحار ج ٥٢ ص ٨٤.

(٤) طه : ١١٥

(٥) المناقب لابن شهراشوب.

محمد ﷺ إلى الجنان. . . »[١]

و : وما أشبه ذلك مثل ما دل على افضليتها ﷺ من الأئمة ﷺ كقول الإمام الحسين ﷺ : «أمّي خير مني».[٢] وغير ذلك .[٣]

وسائر الائمة ﷺ ايضاً كذلك، فهم في الافضلية سواء من هذه الجهة[٤]، ويؤيّده روايات مثل صلاة عيسى ﷺ خلف الإمام المهدي «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف»[٥].

## الولاية التكوينية للأنبياء والصالحين

وقد دلّ القرآن العظيم على ثبوت الولاية التكوينيّة لعدّة من الانبياء ﷺ وغيرهم، فتثبت لها «صلوات اللّه عليها» ولسائر اهل البيت ﷺ بطريق أولى: كقصة آصف وعرش بلقيس[٦]، وسليمان ﷺ والريح والشياطين وغيرهم[٧]، وقصّة الجبال والطير مع داود ﷺ[٨]، وقصّة عيسى ﷺ وتكلّمه في المهد[٩] وإبرائه الأكمه والابرص وإحيائه الموتى وخلقه الطير[١٠]، إلى غيرها مما

(١) بحار الأنوار : ٢٢/٤٩١ .
(٢) الإرشاد : ص ٢٣٢ ط بيروت .
(٣) راجع ص ١١ من هذا الكتاب .
(٤) اي : على جميع الانبياء ﷺ إلا الرسول ﷺ .
(٥) بحار الانوار : ١٤/٣٤٩ ح ١٢ ب ٢٤ .
(٦) النمل : ٤٠ .
(٧) ص : ٣٦ - ٣٧ .
(٨) الانبياء : ٧٩ .
(٩) مريم : ١٩ - ٣٠ .
(١٠) آل عمران : ٤٩ .

ورد في القرآن الكريم.

وقد وردت طائفة كبيرة منها في السنّة المطهّرة.

بل من أطاع اللّه تعالى إطاعة كاملة يكون قادراً على العديد من ذلك كرامةً، كسلمان الذي تكلّم مع الميت، وزينب ﷺ بنت الإمام أمير المؤمنين ﷺ التي أومات إلى الناس - في سوق الكوفة - فهدأت الأصوات وسكنت الاجراس[١] وغيرهما.

كما ان الأنبياء والأئمة «عليهم الصلاة والسلام» يأتون بها معجزة أو خرقاً للعادة ويطلق عليهما الخارق باعتبار خرقه سنن الكون الأولية، بأمر خالقه سبحانه.

وفي الحديث: «أطعني تكن مثلي» ـ على وزن حبر او فرس ـ والاول معناه اسم المصدر والثاني المصدر من قبيل شِبه وشَبَه وحُسن وحَسن. والمَثَل يطلق على (وينسب إلى) التابع وعلى المتبوع أو المشابه، مثل: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾[٢] وقد يستعمل في المتبوع مثل: ﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾[٣]، فإن معناه الشبه تابعاً او متبوعاً.

ومن الواضح : ان قدرتهم التكوينية ليست ذاتية من عند انفسهم، بل هي منحة اللّه تعالى وعطاؤه لهم ﷺ، ولذا قال سبحانه: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرآ﴾[٤] فقدرتهم في طول قدرة اللّه سبحانه وحاصلة بإرادته تعالى.

ولذا لا ينافي علمهم بالغيب حسب ﴿إلاّ من ارتضى من رسول﴾[٥] عدم

---

(١) بحار الانوار : ٤٥/١٦٢ ح ٧ ب ٣٩ .
(٢) النور : ٣٥ .
(٣) الزخرف : ٥٩ .
(٤) الاعراف : ١٨٨ .
(٥) الجن : ٢٧ .

علمهم الذاتي حسب قوله سبحانه: ﴿ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير وما مسَّني السوء﴾[١]، فهما كالشفاعة لا يملكها احد بذاته ﴿قل للّه الشفاعة جميعاً﴾[٢] وإن ملكها غير واحد فهو بامره سبحانه ﴿لايشفعون إلاّ لمن ارتضى﴾[٣].

فقوله: «تكن مثلي» لا ينافي ﴿فلا تضربوا للّه الأمثال﴾[٤] و﴿ليس كمثله شيء﴾ فـ«مثلي» طولي لا عرضي، وفي بعض الأمور بقرينة الوضوح، والذيل «اقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء...»[٥] فإن الخبر يعمّم ويخصّص الموضوع، كالعكس.

أما ما سبق من كونهم ﷺ بما فيهم فاطمة «صلوات اللّه عليها» علّة غائية للتكوين فلأدلة ومؤيدات عديدة، منها: ما ورد من: «ما خلقت سماءاً مبنيّة... إلاّ لأجل هؤلاء الخمسة»[٦] وفي حديث آخر: «لولاك لما خلقت الافلاك ولو لا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما»[٧] ولعل الوجه في ذلك ان عدم خلق الكمال من جميع الحيثيات مع خلق ما عداه دليل على عدم قدرة الخالق أو بُخله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فلولاهم ﷺ كان الخلق على خلاف الحكمة.

---

(١) الاعراف: ١٨٨.
(٢) الزمر: ٤٤.
(٣) الانبياء: ٢٨.
(٤) النحل: ٧٤.
(٥) بحار الانوار: ٣٧٦/٩ ح ١٦ ب ٢٤ قريب منه.
(٦) بحار الانوار: ٢٣/٣٥ ح ١٥ ب ١.
(٧) راجع: كشف اللآلي للعرندس على ما نقله السيد ميرجهاني في الجنة العاصمة والعلامة المرندي في ملتقى البحرين ص ١٤ ومستدرك سفينة البحار: ٣٣٤/٣ ونقله «عوالم العلوم» ص٢٦ عن مجمع النورين وستاتي احاديث أُخرىٰ.

## العلة للحدوث والبقاء

وقد ذهب بعض العلماء إلى كونهم ﷺ العلّة حدوثاً بمعنى ان الكون منهم ككون الوفاة من عزرائيل، وعن الإمام المهدي «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف»: «نحن صنائع ربّنا والخلق بعد صنائعنا»(١).

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي: ١٧٣ ح ٧ ط طهران . وفي البحار أيضاً ج ٥٣ ص ١٧٨ ح ٩ ب ٣١ ط بيروت.

ذهب بعض علماء الكلام إلى ذلك مستندين إلى أدلة وشواهد ومؤيّدات كثيرة نشير إلى بعضها، قالوا: ومما يشهد على كونهم ﷺ وسائط اللّه سبحانه وتعالى في خلق العالم بعد وضوح امكان ذلك بل وضوح رجحانه بالنظر لحكمة اللّه تعالى كما فصّل في محله، ما ورد في الحديث القدسي: «.. وهي فاطمة، وبنورها ظهر الوجود من الفاتحة إلى الخاتمة» [الخصائص الفاطمية للمحقق الشهير الملا محمد باقر: ص١] والظاهر ان المراد ظهورها من كتم العدم إلى نور الوجود والباء للسببية، فليتأمّل.

كما قالت السيدة فاطمة ﷺ: «... ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه...» [السقيفة وفدك نقلاً عن شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢١١].

وإطلاق «وسيلته» يقتضي الأعم من الحدوث والبقاء، وهذا بناء على كون المراد بـ «الوسيلة» ما يتوصّل به إلى الشيء ـ كما هو الاصل في معناها، راجع لسان العرب مادة «وسل» وباقي المعاني مشتقّة منه ـ فهم ﷺ الوسيلة في الإيجاد وهم ﷺ الوسيلة في الإفاضة بعد الإيجاد.

ويقول العلامة المجلسي «قدس سره»: ورد في أخبار كثيرة: «لا تقولوا فينا ربّاً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا» باب نفي الغلوّ عن النبي والائمة ﷺ [بحار الانوار: ج٢٥ ص ٣٤٧].

مع وضوح ان «رب» عَلَم للّه سبحانه وتعالى أي للواجب الوجود فلايقال فيهم ﷺ انهم اله واجب الوجود بل هم ممكنوا الوجود، وبعد ذلك «قولوا فينا ماشئتم» ومن مصاديقه كونهم ﷺ الوسائط في الخلق خاصة مع ملاحظة «ولن تبلغوا» والأمر واضح بملاحظة

←

........................................................

→

العقد السلبي، والعقد الإيجابي للكلام وبملاحظة ان المتكلّم معصوم حكيم ملتفت لدقائق الكلام، ومنها هذا الإطلاق الواسع والمؤكّد.

وورد، كما أشار المصنف «دام ظله»: «نحن صنايع ربّنا والناس بعد صنايعنا» [كتاب الغيبة للطوسي: ١٧٣ ح ٧، وفي البحار أيضاً ١٧٨/٥٣ ح٩ ب٣١ط بيروت] ووحدة النسق والسياق يشير إلى ان الناس مصنوعون لهم ﷺ كما انهم ﷺ مصنوعون لله تعالى، فالله سبحانه علّة العلة.

وفي نهج البلاغة [الكتاب ٢٨]: «إنّا صنائع ربّنا والناس بعد صنائع لنا» واللام في «لنا» للتقوية خاصة مع ورود «صنائعنا» الذي يشهد لذلك.

وفي البحار عن الخصال قال أمير المؤمنين ﷺ: « اياكم والغلو فينا قولوا انا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم» [بحار الأنوار: ٢٧/٢٥ ونظيره ص ٢٧٤]. وكونهم ﷺ بإذن الله العلة الفاعلية من مصاديق الفضل كما لايخفى.

وقوله ﷺ: «ولو خلت الارض ساعة واحدة من حجة لساخت باهلها» [بحار الانوار: ١١٣/٥١ ح ٨ ب ٢]. وهذا ونظائره يدل على كون استمرار الإفاضة منوطاً بهم ﷺ.

وأما الروايات التي يتوهّم منها نفي ذلك فهي إما محمولة على التقية أو ان المراد بها نفي كونهم ﷺ بالإستقلال وفي عرض الله سبحانه علة الخلائق لا نفي كونهم ﷺ في طوله تعالى وبالإستناد إليه وبقدرته وإذنه: العلة للخلقة فلاحظ هذه الرواية مثلاً:

روي عن زرارة انه قال: قلت للصادق ﷺ: ان رجلاً يقول بالتفويض فقال: وما التفويض؟ قلت: ان الله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً «صلوات الله عليهما» ففوّض إليهما فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا؟ فقال: كذب عدوّ الله إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ [الرعد: ١٦]، [بحار الانوار: ٣٤٣/٢٥ - ٣٤٤].

فلاحظ ان الإمام ﷺ نفى التفويض بمعنى اعتبارهم «شركاء لله خلقوا كخلقه» أي في عرض الله لا باستناد إليه... وهكذا سائر الاحاديث كما يظهر بالتتبع والتامل، خاصة مع لحاظ ان اطلاق السؤال يشمل المقام «وهو كونهم ﷺ الخالقين في طول الله سبحانه» وهو محل الإبتلاء أيضاً بل لعل السؤال كان عن خصوص كونهم ﷺ العلّة في طول الله بقرينة «خلق... ففوّض...» ومع ذلك لم ينف الإمام ﷺ هذا الشق، بل نقل الحديث

←

وأما كونهم ﷺ علته[1] بقاءاً : فلأن البقاء بحاجة إلى استمرار العلّة، كالمصباح حيث ان دوامه بحاجة إلى الإتصال المستمر بالقوة الكهربائية، وهم بإرادة اللّه وفي طوله تعالى علة كما ان الكهرباء بإرادته تعالى وفي طوله علّة للإنارة.

وقد قيل للصادق ﷺ : اللّه بمقدوره أن يخلق الكون الباقي أبداً، في أقل

←

لنفي الشق الآخر وهو كونهم ﷺ شركاء للّه تعالى وفي عرضه.

كما ان التفويض بمعنى ان أمور الكون إليهم ﷺ بقاءً دون مدخلية للّه تعالى أصلاً ايضاً باطل، ولهذا البحث مقام آخر تطرقنا له هنا اشارةً فقط.

ونموذج آخر يوضحه قوله ﷺ: «أنا بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى» [بحار الانوار : ٢٥/٢٦٦]. فهذا التشبيه دليل على المتبرئ منه إذ النصارى يرون فيه رباً وشريكاً لا مخلوقاً مستند القدرة إلى اللّه سبحانه، وهذا التقييد بـ«كبراءة» في العديد من الاحاديث شاهد كبير على المطلب.

ولذا جاء في الرواية: «وانا لنبرأ إلى اللّه عزّوجل ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى قال اللّه عزّوجل: ﴿وإذ قال اللّه يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون اللّه﴾ [المائدة:١١٦]، [بحار الانوار : ٢٥/٢٧٢].

وكذلك قول صاحب الزمان «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف»: «. . . ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته بل لايعلم الغيب غيره. . .» [بحار الانوار : ٢٥/٢٦٦] مع وضوح علمهم ﷺ بالغيب بإذنه تعالى، وكذلك قدرتهم.

ويوضحه أكثر قوله «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف»: «اني بريء إلى اللّه وإلى رسوله ممن يقول انا نعلم الغيب أو نشارك اللّه في ملكه. . .»[بحار الانوار: ٢٥/٢٦٦].

فالمنفي هو مشاركة اللّه في ملكه وهو الند ومن هو في العرض، لا من يقوم بعمل استناداً إليه تعالى وبإفاضته وفي طوله، وما يوضح المطلب أكثر فاكثر مراجعة الرواية المطولة المذكورة في ج ٢٥ ص ٢٧٣-٢٧٨ من البحار حيث ان الائمة كانوا يواجهون من يدعي ان علياً ﷺ هو اللّه تعالى والعياذ باللّه ويردون عليه بكل شدّة وعنف.

(١) أي : علّة الكون.

من الساعة[١] فلا عمل له سبحانه بعد ذلك، كما قالت اليهود ﴿يد اللّه مغلولة﴾[٢] فاجاب - ما معناه -: بان الكون قائم به سبحانه على سبيل الإستمرار، فالكون بالنسبة إليه كالصور الذهنية بالنسبة إلينا بحيث ان مجرد عدم الإلتفات يوجب انعدامها، ولذا ورد: «لولا الحجّة لساخت»[٣] والمراد الإنعدام لا الإنهدام فليس من قبيل انهدام الكون إذا فقدت الجاذبيّة.

وفي دعاء رجب «فبكم يجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض»[٤] إلى غير ذلك، مما دلّ على هذه المراتب الثلاثة في الولاية التكوينية.

## الولاية التشريعية

وكذلك لفاطمة «صلوات اللّه عليها» الولاية التشريعية، إذ هم عليهم السلام علّة التشريع، فإن علّة الملازم علة للملازم الآخر وعلة الملزوم علة للازمه أيضاً، مثل كون علّة وجود الكتب المتعدّدة علّة وجود الزوجية أو الفردية التي هي وصف لتلك الكتب، إذ التشريع من لوازم التكوين - بالمعنى الأعم - إضافة إلى ما ورد من« انهم عليهم السلام نور واحد» وما ورد من «انّ فاطمة عليها السلام حجّة علينا» [٥] وغير ذلك.

كما انهم عليهم السلام علّة فعليّة التشريع وبقاء التشريع حيث ان الدين باق بصورة أو أُخرى، فلا يقال لدين موسى عليه السلام - مثلاً -: لم يبق بقول مطلق، إذ جوهر الدين بقي بصورة أُخرى في زمن عيسى عليه السلام وزمن الرسول صلى الله عليه وآله. ﴿قولوا آمنّا

---

(١) الساعة - لغة - الفترة من الزمن فتشمل حتى الدقيقة مثلاً.

(٢) المائدة: ٦٤.

(٣) راجع بحار الانوار: ١١٣/٥١ ح ٨ ب ٢. وبصائر الدرجات ص ٤٨٨ و٤٨٩.

(٤) بحار الانوار: ١٩٥/٩٩ ح ٦ ب ٨.

(٥) راجع كتاب تفسير أطيب البيان ٢٢٥/١٣، عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

بالله﴾[١].

## الأمر بين الأمرين في التشريع

لا يقال : كيف يجمع بين تشريعهم ﷺ المستفاد من «ففوّض إليه دينه»[٢] ومن «المفوّض إليه دين اللّه»[٣]ومن «سنّة النبي في قبال فرض اللّه» وبين ﴿ما ينطق عن الهوى﴾[٤] المراد به الاعم من القول والفعل والتقرير، ولذا ورد ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم﴾[٥] فإن كل مُظهر نطق، مثل ﴿يسبّح للّه﴾[٦] المراد به التكوين أو اللسان أو بُعد آخر لا تدركه عقولنا؟

لأنه يقال : ان قلوبهم ﷺ أوعية مشيئة اللّه سبحانه، كما ان اللّه ينبت، لكن محل إنباته الارض، أو الرحم، كما قال: ﴿وانبتناها نباتاً حسناً﴾ .[٧]

ثم ان اللّه سبحانه نسب الأمور التكوينية تارة إلى نفسه وأخرى إليهم وثالثة إليهما:

فمرة قال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ .[٨]

---

(١) البقرة : ١٣٦ .

(٢) التهذيب : ٣٧٩/٩ ح ٢٤ ب ٤٦ .

(٣) بحار الانوار : ٨١/٩١ ح ٢ ب ٣٠ .

(٤) النجم : ٣ .

(٥) الجاثية : ٢٩ .

(٦) الجمعة : ١ .

(٧) آل عمران : ٣٧ .

(٨) الإسراء : ٤ . والقضاء ياتي بمعنى الاخبار والتقدير والحكم، وغير ذلك «راجع شرح التجريد بحث القضاء» وربما يكون المراد بالآية ان التقدير كان حسب السنن الكونية، افسادهم مرتين، فمن السنن الكونية ان التكبّر يفسد وهذا تقدير كوني.

وتارة قال سبحانه: **﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت﴾**.[١]

وقال تعالى ثالثة: **﴿رضوا ما آتاهم اللّه ورسوله﴾**[٢] **﴿وسيؤتينا اللّه من فضله ورسوله﴾**[٣] - ماضياً ومستقبلاً - كما استدل بها الصادق ﷺ على أبي حنيفة الذي قال: أشركت باللّه.

فمعنى انهم ﷺ المكوِّنين بأمره تعالى وبانهم مجرى إرادته واوعية مشيئته، مثل أن عزرائيل يميت بأمره سبحانه وإرادته، وإسرافيل ينفخ، وجبرائيل ينزّل الوحي، وميكائيل يقسم الرزق، وهكذا.

ومن المعلوم ان المعصومين ﷺ جميعاً أفضل من الملائكة، ولذا سجدت الملائكة لآدم ﷺ، وهم ﷺ افضل من آدم ﷺ.

وكشاهد على ما نحن فيه ترى - في القرآن الكريم - يقول سبحانه تارة: **﴿اللّه يتوفّى الأنفس﴾**.[٤]

وأخرى: **﴿يتوفّاكم ملك الموت﴾**.[٥]

وثالثة: **﴿توفّته رسلنا﴾**.[٦]

فالثالث[٧] في طول الثاني الذي هو في طول اللّه سبحانه.

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) التوبة: ٥٩.

(٣) التوبة: ٥٩.

(٤) الزمر: ٤٢.

(٥) السجدة: ١١.

(٦) الانعام: ٦١.

(٧) للروايات الدالة على ان لملك الموت أعواناً يقبضون الروح بامره.

## من الأدلة على ولايتهم عليهم السلام

ثم انه يدلّ على ولايتها عليها السلام خصوصاً أو ضمن سائر المعصومين عليهم السلام أدلة كثيرة، وقد سبق أو سياتي بعضها كدليل أو مؤيد، منها:

قوله عليه السلام: «فاطمة حجّة اللّه علينا».[1]

و: حديث الكساء، كما سياتي بيان ذلك.

و: قوله صلى الله عليه وآله: «لولا علي لما كان لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه».[2]

و: ما دل على تساويها عليها السلام مع الإمام علي عليه السلام.

و: ما دل على الافضلية من الأنبياء عليهم السلام مع قيام الأدلة على ثبوت الولاية لهم - على درجات -.

و: الاولوية القطعية من أمثال: «عبدي أطعني تكن مثلي».

و: قوله عليه السلام: «الخلق بعدُ صنائعنا».

و: «فبكم يجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض».

و: «فوّض اليه دينه».

و: «كونهم عليهم السلام أوعية مشيئة اللّه».

و: صدور الخوارق منهم.

و: التوقيع المروي عن صاحب الزمان «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف» كما سياتي[3] إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة.

---

(١) راجع كتاب تفسير اطيب البيان ١٣/٢٢٥، عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

(٢) التهذيب: ٧/ ٤٧٠ ح ٩ ب ٤١ .

(٣) وسياتي ذكر مصادر تلك الاحاديث تفصيلاً بإذنه تعالى.

كما يدل على ولايتهم ﷺ عموماً، قوله تعالى: ﴿النبيّ أولى بالمؤمنين﴾[١] بالإضافة إلى الآيات والروايات المتواترات، لما قد ثبت من انهم ﷺ نور واحد، وان لاوّلهم ما لآخرهم، كما في الروايات، وقال سبحانه: ﴿إنّما وليّكم اللّه﴾[٢] الآية، فهم ﷺ كالنبي ﷺ في مرتبة الولاية، وإن اختلفوا في مراتب الفضل، فبعد الرسول ﷺ علي ﷺ وبعده أو مقارناً له - كما يظهر من جملة من الاحاديث - فاطمة «سلام اللّه عليها»، ثم الحسن ﷺ، ثم الحسين ﷺ، ثم القائم ﷺ، ثم الائمة الثمانية قبله ﷺ كما يظهر من الاحاديث.

## ماذا تعني الأولوية؟

وهل المراد الاولوية التكوينية؟[٣] او في صورة التدافع؟ أو ان له ﷺ سلطة فوق سلطة الإنسان، كما في سلطة اللّه تعالى على السيد المسلّط على العبد؟ أو الحكومة؟ أو الثلاثة الاخيرة؟ او الخمسة جميعاً، لجامع السلطويّة فليس من استعمال اللفظ في أكثر من معنى؟

احتمالات، وإن كان بعضها أقرب.

نعم إذا كان (اولى) بمعنى التفضيل العرفي يكون الثاني فقط، لكنه خلاف الظاهر حيث الإحتفاف بالقرائن الداخلية والخارجية، فتامل.

---

(١) الاحزاب: ٦.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) بمعنى انه أولى لانه كوّنه.

## سلطة الهدم والبناء

والظاهر ان لهم عليهم السلام، سلطة الهدم كما لهم سلطة البناء، من قبيل الزوج الذي له سلطة النكاح والطلاق، أو الشركة حيث العقد الجائز للشريك، كلاهما[١]، بخلاف مثل البيع اللازم حيث البناء فقط، ومثل ثالثٍ جُعِلَ الخيار بيده حيث له الهدم فقط.

فكما انه سبحانه له حق طلاق نساء الناس أو تزويجهنّ، ولو بدون رغبتهم كذلك لهم عليهم السلام هذا الحق خلافةً منه تعالى، لكن من الواضح انهم عليهم السلام في طوله سبحانه، وانهم أوعية مشيئته كما تقدم، وإن كانوا عليهم السلام لا يقومون بإعمال أمثال هذه القدرة عادةً، كما سيأتي.

## من معاني التفويض

ثم ان التفويض التكويني إليهم عليهم السلام هو بالمعنى الذي ذكرناه، ودلّ عليه النص مثل «فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض»[٢] والإجماع.

والتشريعي أيضاً كما ذكرناه ودلّ عليه «المفوض إليه دين اللّه»[٣] و«ان اللّه أدّب نبيّه بآدابه ففوض إليه دينه»[٤]إلى غيرها من الروايات المتواترة.

وفي قباله تفويضان باطلان :

(١) اي: الإمضاء والفسخ.
(٢) بحار الانوار : ١٩٥/٩٩ ح ٦ ب ٨ ، ط بيروت.
(٣) بحار الانوار : ٢٠/٥٢ ح ١٤ ب ١٨ .
(٤) راجع بحار الانوار : ٣٣٤/٢٥ ح ١٤ .

**الأول** : عزل اللّه سبحانه عن ايّ شيء وانما يكون كمن اشغل مصنعاً وفوّضه إلى آخر واعتزل هو عن العمل اطلاقاً، وهذا يخالفه النص والإجماع، بل الكتاب والعقل ايضاً.

**الثاني** : تفويض الأمور وتركها وسائر الكون لا إلى احد بان يكون اللّه سبحانه قد خلق الكون وهو يدور بنفسه كمن يشغل مصنعاً ويتركه يدور بدون قيام أحد مقامه، وهذا هو الذي قاله اليهود مما ذكره سبحانه: **﴿وقالت اليهود يد اللّه مغلولة غلّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا﴾**(١).

وهذا التفويض الباطل بالمعنى الثاني هو نقطة النقيض لفكرة الجبر التي تقول ان اللّه سبحانه يفعل كل شيء، بينما الأول بمعنى انه تعالى لا يفعل اي شيء، والحقيقة انه أمر بين الامرين، فالآلات منه سبحانه والعمل من الإنسان ولذا يثاب ويعاقب.

## عود على بدء

ولما سبق من ان اللّه سبحانه جعل بيدهم عليهم السلام الكون، تصدر منهم عليهم السلام الخوارق، معجزة وكرامة، بما انهم أوعية مشيئة اللّه تعالى، وكذلك ما سبق من انه تعالى فوّض إليهم التشريع كما ورد «المفوض إليه دين اللّه».

والأوّل يشمل الهدم والبناء كإماتة الإمام الرضا عليه السلام الساحر وإحياء عيسى عليه السلام الاموات، والتبديل والتحويل، قال سبحانه: **﴿فلن تجد لسنّة اللّه تبديلاً ولن تجد لسنّة اللّه تحويلاً﴾**(٢)، ومن سنة اللّه جعله تعالى التكوين والتشريع

---

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) فاطر : ٤٣ .

بأيديهم عليهم السلام، وذلك كان يجعل الشام عراقاً وبالعكس، وكأن يجعل الرجل امرأة وبالعكس كما في قصة الإمام الحسن عليه السلام [١].

## بين التصرف والصلاحية

ولم نجد تصرفهم عليهم السلام في التشريع وإن كان لهم صلاحية ذلك، ولعل السبب في ذلك أن لا يتخذ الحكام ذلك ذريعة للتصرف في الأحكام وبالرغم من ذلك ترى الحكام قد تصرفوا في أحكام اللّه تعالى كما في المتعتين، وكما في صلاة التمام في عرفات وغير ذلك، فكيف بما إذا كانوا يرون الرسول صلى الله عليه وآله يفعل ذلك، ولذا قالوا باستحباب البول في المزبلة، لكذب نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وآله.

ومما تقدم ثبتت الولاية بمعانيها السبعة: كونهم عليهم السلام للتكوين علة، وطريقاً كطريقية عزرائيل للموت، وانه قائم بهم، وكذلك التشريع: علة وطريقاً، وقياماً، بإضافة ان لهم عليهم السلام الحكومة، حيث لا تلازم بين الاخير وسائر أقسام التشريع.

## التوقيع الشريف

ويؤيد ذلك - بل يدل عليه - التوقيع المروي عن صاحب الزمان «أرواحنا فداه» في دعائه:

«أسألك بما نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عَرَفك، لا فرق بينك وبينها إلا انهم عبادك وخلقك، فتْقُها ورتقها بيدك، بدؤها

---

(١) بحار الانوار: ٤٣/٣٢٧ ح ٦ ب ١٥.

منك وعودها إليك، أعضاد واشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت»[١] إلى آخر الدعاء.

و«مناة» : ـ على وزن دعاة جمع داعي ـ من منى اللّه تعالى فلاناً بخير، أي أعطاه له.

و«اذواد» : ـ جمع ذائد كأصحاب جمع صاحب ـ من ذاد بمعنى طرد، فالمعنى: من ينال خيراً أو يطرد عن شيء لا يكون إلاّ بهم عليهم السلام لا علّة بل فعلية.

وملأ السماء والأرض: كالشمس تملأ الكون وإن كان جسمها الظاهر صغيراً.

ولعلّ سرّ ورود الزيارة الجامعة والدعائين لرجب عنهم عليهم السلام لبيان الطريق الوسط بين ماديّة الخلفاء الذين استهتروا فيها وإفراط المتصوفة القائلين بوحدة الوجود أو الموجود في تلك الأزمنة المتاخرة.

ومن الواضح ان ظهور «لا إله إلاّ اللّه» بسببهم عليهم السلام، من جهة امتلاء العالم بالشرك الوثني أو المسيحي أو اليهودي، بل والعامة القائلين بالتجسيم ونحوه، وقد قال علي عليه السلام: «فمن وصف اللّه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه ومن ثنّاه فقد جزّأه»[٢] الحديث.

ولا يخفى ان ما ذكرناه في الجملة يظهر من مئات الآيات والروايات مما ذكر في مباحث أُصول الدين فراجع.

---

(١) بحار الانوار: ٣٩٣/٩٥ ح ١ ب ٢٣ ط بيروت.
(٢) بحار الانوار: ١٧٦/٥٤ ح ١٣٦ ب ١.

## لا فرق بين حياتهم ومماتهم ﷺ

ثم انهم ﷺ وهم أموات كالاحياء من جهة التكوين وجهة التشريع، لإطلاق الادلة إلاّ في الامر السابع الذي هو فعلية الحكومة.

ولا يقال: انهم ﷺ كيف يتصرفون في التكوين وهم أموات؟

لانه يقال:

**أولاً**: لا موت لهم ﷺ فإنهم ﴿**احياء عند ربّهم يرزقون**﴾[1] وانما بدّلوا الملبس، بل كل حي إذا مات كان كذلك، فقد خلقهم للبقاء لا للفناء، وقد قال الرسول ﷺ ـ لمن اعترض عليه حينما خاطب قتلى المشركين يوم بدر ـ: «ما أنت باسمع منهم»[2].

وفي الزيارة: «وانك حيّ»[3] إلى غير ذلك.

**وثانياً**: على فرض كونهم ﷺ أمواتاً، ما المانع من أن يُعْطي اللّه سبحانه بالميت الحياة، كالرزق والشفاء وغير ذلك؟! وفي القرآن الحكيم: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حيّ**﴾[4]، ومن المعلوم ان الماء بالمعنى المتعارف ليس حياً، فإن اللّه تعالى هو علّة العلل، ولا فرق عنده في الإحياء بسبب بين ان يكون حياً أو ميتاً.

وفي آية أُخرى: ﴿**يخرج الحيّ من الميت**﴾[5]، وفي بقرة بني إسرائيل

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) بحار الانوار: ٢٠٧/٦ ب ٨، وفيه: انهم اسمع منكم.

(٣) بحار الانوار: ١٠٣/٩٩ ح ٢ ب ٧. وفي ج ١٠١ ص ١٧١ ح ٤٢ عن كامل الزيارات: اشهد انّك حيّ شهيد تُرزَق عند ربّك. وفي ص ١٦٩ ح ١٥ عن الكامل: واشهد انّك ومَن قُتِل معك شهداء احياء عند ربّك تُرزَقون.

(٤) الأنعام: ٩٥

(٥) الروم: ١٩.

المذبوحة انها سببت حياة المقتول، كما سبب اثر الرسول حياة عجل السامري، وكذلك رش الماء على الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فماتوا فعادوا أحياء في قصة ارميا، المذكورات في القرآن الكريم.

ولذا لم تكن قصة البقرة مثلاً مجرد سرد تاريخ، بل لعبر: منها ان اللّه سبحانه يحيي الميت من الميت، كما لم تكن آية النجوى[1] مجرد قصة منسوخة، بل لإفادة ان الناس - عادة - يقومون باداء العبادات التي تتعلّق بالجوارح، أما إذا وصل الامر إلى المال ظهر عمق ايمانهم، فلايقال: ما فائدة الآية المذكورة تتلى إلا فضيلة علي ﴿عليه السلام﴾.

## رفعة منزلتهم ﴿عليهم السلام﴾ ذاتية

ثم إن رفعة المعصوم ﴿عليه السلام﴾ امر جوهري كرفعة الذهب على التراب، وقد دلّت على ذلك الادلة الاربعة.

والمراد بدلالة العقل: الدليل الإنّي حيث يكشف اعمالهم عن ذلك، واللمّي بالنسبة إلى الكبرى حيث ان القدرة المطلقة بدون محذور في الخلق يعطي خلق الأرفع أيضاً، نعم الإنطباق على الاشخاص الخاصين ـ أي الصغرى ـ نقليّ.

قال سبحانه: ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض﴾.[3]

وقال سبحانه: ﴿ونفضّل بعضها على بعض في الأكل﴾[4] إلى غيرها من

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) الإسراء: ٢١.

(٤) الرعد: ٤.

الآيات والروايات المتواترة، وقد دلّت على ذلك الكرامات الخاصة أيضاً.

ولا يستشكل بانه لو كان خَلَق زيداً أو عمرواً مثلهم لكان يستحق الدرجات الرفيعة، لوضوح انه يلزم في الحكمة خلق كل مهية ممكنة لا محذور في خلقها، وإلاّ لزم العجز أو الجهل أو الخبث، تعالى عن ذلك علوآً كبيراً [(١)].

نعم ما في ذاته محذور عدم القابلية كخلق المتناقضين مثل أن يخلق شيئاً واحداً نملةً وفيلاً، او زوجاً وفرداً، او وجوداً وعدماً او ماهو خلاف المصلحة، لا يكون الأول للإستحالة الذاتية، والثاني للإستحالة العرضية، إذ القبيح محال على الحكيم تعالى.

## مجالات ستة للرسول ﷺ

ثم ان القرآن الحكيم ذكر الأسوة برسول الله ﷺ[(٢)]، وفي كلام علي ﷺ: «فتأسّىٰ متأسّ بنبيّه وإلاّ فلا يأمن الهلكة»[(٣)] وفي الزيارات قد ورد التأسّي بالأئمة ﷺ، فيجب التاسي بهم ﷺ ـ ومنهم فاطمة «صلوات الله عليها» ـ لانهم ﷺ حجج الله تعالى، هذا فيما لم يكن من مناصبهم ومختصاتهم.

والظاهر انه ﷺ تتوفّر لديه وفي حيطته أُمور ستة:

١ ـ الأحكام الأولية قولاً أو فعلاً أو تقريراً كوجوب الصلاة وحرمة الخمر إلى سائر الأحكام التكليفية والوضعية، والمراد بها أعم مما ذُكر ومن مثل الصيام

---

(١) في مطاوي الكتاب أجوبة أُخرى عديدة عن ذلك فليراجع.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) راجع نهج البلاغة – الخطبة: ١٦٠. خبر يريد به الطلب.

في الحضر والإفطار في السفر، فإن الثاني وإن كان ربما يقال له الحكم الثانوي باعتبار ان التشريع أولاً وبالذات هو الصيام، إلاّ انه أيضاً حكم أولي باعتبار ان المكلف مخير بينهما فهما موضوعان عرضيان.

٢ـ الأحكام الثانوية : وهي الطولية، مثل أحكام الإضطرار ونحوها، والرسول ﷺ أسوة فيهما، كل في مورده، فقد اضطر الرسول ﷺ إلى دخول مكة بالسلاح، وإلى الصلاة جالساً في مرضه وهذا من مختصاته كما انه لم يعمل حسب «ما لا يعلمون»[1] وما «اخطاوا» و«ما سهوا» و«ما نسوا» لانه منزّه عنها.

اما انه هل عَمِلَ حَسَبَ «ما اكرهوا» بنفسه الشريفة ﷺ؟ فلم أجده.

والعامة يقولون : بالسهو والنسيان فيه ﷺ لكن اجماع الشيعة على خلاف ذلك، وكذلك العقل والنقل.

٣ ـ الأمور العامة : كشرائه ناقة، أو زواجه من ثيّب عمرها كذا، وأكله وشربه كذا، فإنه لا يلزم الإقتداء به ههنا بحيث ان التارك لايامن الهلكة.

نعم إن عمله يدل على الجواز، وقول بعض العامة القائلين باللزوم - ولذا قال بوجوب البول في المزبلة ولو في السَنة مرّة - باطل البناء والمبنى، ولذا لا يقولون بمثل ذلك في ما نسبوا إليه من حمله زوجته ونظرها إلى الطبّالين، وهذا أيضاً باطل عندنا مفترى عليه ﷺ.

٤ ـ الحكوميات : التي هي عبارة عن تطبيقه ﷺ كبرى المصلحة على صغرى خارجية في شؤون الناس، كنصب أُسامة أميراً، أو فلاناً والياً على البحرين، أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يجب على علي عليه السلام في زمان حكومته أن يفعل ذلك بعينه وإن فرض ان المنصوب بقي على العدالة.

٥ ـ التصرفات الولائية بالمعنى الأعم : فإنها وإن كانت جائزة له ﷺ خلافة

(١) الكافي : ٢/٤٦٣ ح ٢ .

عن اللّه سبحانه، إلا انّا لم نجد انه ﷺ عمل بها كجعل حرّ عبداً او عكسه، أو إبطال زواج أو جعله، أو إبطال ملك او عكسه، إلى ما أشبه ذلك، وروي تهديد علي ﷺ جعل الأحرار عبيداً في قصة طغيان الفرات، كما لم نجد مثل هذا التصرف عن الأئمة «عليهم الصلاة والسلام».

وما ذكره بعضهم من قصة سمرة(١) وان القلع كان بالولاية محل نظر، بل هو جائز حتى للفقيه حيث يلجؤه الامر إلى ذلك، كما بيّناه في «الأصول» فإنه حكم قضائي في أمثال هذا التنازع.

٦ ـ الإختصاصات: كزواجه ﷺ أكثر من أربع، وغيره، مما ذكره الشرائع والجواهر وغيرهما في باب النكاح، وهي خاصة به ﷺ وإن كان ربما يوجد نحو منها في بعض المعصومين ﷺ مثل حرمة زواج علي ﷺ امرأة مادامت فاطمة «سلام اللّه عليها» في بيته، مما يكون من مختصات فاطمة «سلام اللّه عليها»، وحرمة ان يخاطب غير علي ﷺ بإمرة المؤمنين، مما كان من خصائصه، وما يظهر من اختصاص بعض الاحكام بالإمام المهدي «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف» كما يظهر من بعض الاخبار.

## شمولية علمهم وقدرتهم ﷺ

ثم انهم ﷺ ومنهم فاطمة «صلوات اللّه عليها» يحيطون علماً وقدرة ـ بإذن اللّه تعالى ـ بالكائنات جميعاً إلاّ ما استثني(٢)، وقد تقدّم في الزيارة الرجبيّة ما يدل على ذلك، كما في جملة من الاحاديث: «يعلمون ما كان وما يكون وما

---

(١) الكافي: ٥/٢٩٢ ح ٢

(٢) كالإسم الاعظم الـ٧٣ مثلاً على رواية.

هو كائن» فإنه ليس بمحال عقلاً، ويشبه ذلك في الماديات الهواء والحرارة والجاذبية وغيرها، كما ان عزرائيل يحيط علماً وقدرةً في بُعد الإماتة بكل انسان بل بالملائكة ايضاً ـ كما ورد في الاحاديث ـ.

وقد قال اللّه سبحانه في إبراهيم ﷺ: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والإرض﴾. (١)

وفي يعقوب ﷺ: ﴿ولما فَصلتِ العير قال ابوهم إنّي لاجد ريح يوسف﴾. (٢)

وهم ﷺ أفضل من الملائكة والانبياء كما دلّت على ذلك النصوص وإجماعنا، وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

وفي رسول الإسلام ﷺ قال اللّه تعالى: ﴿إنّا ارسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً﴾(٣) فإطلاق الشاهد(٤) وقرينية اطلاق الصفات الأُخر يدل على العموم، ومن المعلوم ان الشاهد لا يكون إلاّ من حضر.

وقال سبحانه: ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾. (٥)

ويؤيّده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون اللّه حديثاً﴾(٦).

وفي الروايات: «لو لا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات»(٧) فإذا كان لبني آدم هذه القدرة - لولا المنع - فاهل

(١) الانعام: ٧٥.
(٢) يوسف: ٩٤.
(٣) الاحزاب: ٤٥ - ٤٦.
(٤) وحذف المتعلّق يفيد العموم.
(٥) النساء: ٤١.
(٦) النساء: ٤٢.
(٧) بحار الانوار: ٥٦/١٦٣ ب ٢٣.

البيت ﷺ أولى.

وتقول في تشهّد الصلاة: «السلام عليك أيها النبي» وفيه ظهور الحضور، وفي الحديث: «نزّهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»[١] حيث ان جماعة اتخذوهم ﷺ آلهة فنهوا عن ذلك، أما بعد الالوهية ففيهم ﷺ كل خير والتي منها عموم العلم والقدرة، وفي جملة من زيارات الحسين ﷺ كما في بعض فقرات «الزيارة الجامعة» دلالة على ذلك.

وما ورد من إبلاغ المَلَك السلام إلى رسول الله ﷺ لا ينافي ما تقدّم، فهو كإبلاغ المَلَك صحيفة الاعمال إليه سبحانه، وسؤالهم ﷺ عن أشياء كسؤال اللّه في قوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾[٢] إلى غير ذلك، ممّا لا يخفى على من راجع الروايات المتواترة.

## بين العلم الغيبي والسلوك العملي

ثم الظاهر ان علمهم الغيبي لا يؤثر في سلوكهم العملي، فالحسن ﷺ يشرب السم مع انه لم يكن مجبوراً، والرسول ﷺ مضغ اللحم المسموم الذي أثّر فيه وأخيراً انتهى إلى الموت، وعلي ﷺ كان يعلم بوقت موته، ومع ذلك خرج إلى المسجد مع إمكانه ان يستنيب في صلاة الجماعة ذلك اليوم أو يستصحب معه حرّاساً أو يسجن ابن ملجم أو يخرجه من المسجد أو يجعل عليه حرّاساً أو ما اشبه ذلك.

---

(١) راجع بحار الانوار ٢٥/٣٤٧ ح ٢٥ ب ١٠ . وفيه: قد ورد في اخبار كثيرة: «لاتقولوا فينا ربّاً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا».

(٢) طه : ١٧ .

أما القول بأنهم ﷺ لا يعلمون عند نزول الموت، أو انهم مضطرون،كما في دسّ هارون والمامون السم إلى الإمامين الكاظم والرضا ﷺ أو ما اشبه ذلك من الاجوبة فليست بمقنعة وخلاف ظاهر الادلة.

بل لو كان العلم الغيبي يؤثر، لما بكى الرسول ﷺ لفقد ولده ابراهيم، ولما بكى الحسين ﷺ لفقد أولاده واصحابه، مع انهم ﷺ يعلمون بل ويرون انتقالهم إلى جنّات النعيم، وهل يبكي أحدنا لذهاب ولده إلى مكان حسن جداً وهو يراه عين اليقين؟ بل لم يكن يعقوب ﷺ يبكي من فراق يوسف ﷺ، وهو يعلم انه حيّ وسَيَرجع إليه بعد مدّة ملكاً.

لا يقال: حتى على فرض موت يوسف ﷺ فلماذا هذا البكاء من يعقوب ﷺ حتّى ابيضَّت عيناه وخيف عليه ان يكون حَرَضاً أو يكون من الهالكين؟

لانه يقال: كما ان العيون والشمس منبع الماء والنور كذلك جعل اللّه سبحانه للمعنويّات منابع، فيعقوب ﷺ منبع العطوفة ليتاسّ الناس به ويستمدونها منه ولولا ذلك لم يكن لهم ما يتأسّون به.

فعلمهم الغيبي «صلوات اللّه عليهم اجمعين» لا يؤثر في عواطفهم الإنسانيّة، كي يكونوا أسوة، وإلاّ لقال الناس ان علياً ﷺ كان يخوض الحروب لعلمه بأنه لايُقتل ونحن لا نعلم ذلك.

بل ميثم التمّار جاء إلى الكوفة وقد كان يتمكّن من الفرار من مكة إلى موضع لايصله سلطان ابن زياد، إلى غيرها من الامثلة الكثيرة.

وكذلك حال القدرة الغيبية إذ لا يستعملونها إلاّ حال الإعجاز، فلقد كانوا قادرين على رفع الضيق عنهم وعن المؤمنين، فهم ﷺ ـ ولا مناقشة في المثال ـ كوكيل الإنسان الغني لا يتصرف في أمواله إلاّ بإذن الموكل وإن كان قادراً على

التصرف، والله سبحانه العالم.

## الأحكام المستفادة

وقد أشرنا إلى ان الاحكام التي ذكرت في الكتاب مما يستفاد من كلماتها «عليها السلام» انما ذكرناها بإيجاز دون التطرق لمختلف الادلة والاقوال وشبه ذلك، وإلاّ فالتفصيل يحتاج إلى مجلدات ضخمة، حسب قولهم ﷺ: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»[١] ولعل الله سبحانه يوفّق بعض مواليها ﷺ من الفقهاء كي يتشرف بتفصيل ذلك، وهو المستعان.

ولا يخفى ان الأحكام التي استفدناها قد تستخرج استناداً إلى الدلالة المطابقية أو التضمنية أو الإلتزامية، وقد يتم استخراجها استناداً إلى دلالة الإقتضاء[٢] وربما الدلالة العرفية أيضاً وإن لم تكن من الاربع المذكورة. وربما كان

(١) وسائل الشيعة : ١٨/٤١ ب ٦ ح ٥٢ . ونحوه في المعنى ح ٥١ : «إنّما علينا ان نلقي عليكم الأصول وعليكم ان تفرّعوا».

(٢) ما يتوقف صحة او صدق الكلام عليه وذلك نظير: ﴿وسئل القرية﴾[يوسف: ٨٢] وكذا استكشاف امير المؤمنين علي ﷺ لادنى مدة الحمل من ضمّ قوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[الاحقاف : ١٥] إلى قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين﴾ [البقرة: ٢٣٣] ومن ذلك: إلغاء الخصوصية حيث يكتشف بذلك ان ما ذكر انما كان بعنوان المصداق وكصغرى لكبرى كلية للقطع أو الإطمينان بالملاك، وقد تكون الإستفادة والإستنباط مستندة إلى (مبنى) الكلام او إلى مقدمات مطوية أو شرائط أو موانع كذلك، وإذا لاحظنا عصمتها ﷺ وإحاطتها العلمية ظهر بوضوح ان كلامها بشتى دلالاته حجّة، فلو توقف صحة الكلام او صدقه مثلاً على مقدمة مطوية وإن كانت بعيدة كان ذلك دليلاً على حجيتها وصدقها وامكن الإستناد إليها كذلك.

والقارىء الكريم سيرى ان المؤلف «دام ظله» قام بملاحظة شتى الجهات السابقة الذكر وربما يكون من ذلك ايضاً: استكشاف الإنشاء من الاخبار وبالعكس عبر بعض الدلالات السابقة.

الحكم او العلم به منشأ لتعليل أو توضيح بعض كلماتها عليها السلام .(١)

وقد استطردنا احياناً إلى ذكر بعض الأمور الأخر، بالإضافة إلى الإعتقاديات وفلسفة الاحكام، والاحكام الخمسة.

وهذا الكتاب يتطرق غالباً للحديث عمّا يستنبط من اقوالها عليها السلام، أما فعلها وتقريرها: فبحاجة إلى كتاب ضخم ويكفي أن نشير هنا إشارة عابرة إلى بعض النماذج من فعلها وسيرتها عليها السلام.

## دروس من سيرتها عليها السلام

ففي سيرة وحياة الزهراء «عليها الصلاة والسلام» مواضع كثيرة للتعلّم، إذا تعلّمها المسلمون، بل البشرية، سعدوا في الدنيا قبل الآخرة، واسعدوا الآخرين.

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

زواجها الميمون، حيث زوّجها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في اول بلوغها عليها السلام .(٢)

وكذلك إذا زوّجت البنات في أوائل البلوغ سعدن وانقطعت إلى حد بعيد جذور الفساد في المجتمع، إذ معنى زواجهنّ في ذلك السن زواج الاولاد الذكور أيضاً في سن البلوغ، فلا ترغب النفس أو تهم بالحرام.

وقد راينا جملة من العشائر في البلاد الإسلامية تجري على ذلك، وبذلك تشذ الجريمة وتتضاءل أرقامها إلى ما يقارب الصفر، بخلاف ما لو لم يتبع هذا المنهج حيث تتصاعد تصاعداً كبيراً، وذلك يؤدّي إلى الامراض والعقد النفسية والتوترات العصبية وهدم العوائل وكثرة المشاكل إلى غيرها.

---

(١) اللف والنشر مرتب كما لا يخفى.

(٢)راجع عوالم العلوم ١١/٢٨٧ ب ٣ ح ٢ ط ٢ ، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.

كما ان في الجهاز البسيط لزواجها «صلوات الله عليها» أكبر الدرس لتخفيف المهور والقناعة بالميسور، وقد قال صلى الله عليه وآله: «افضل نساء أمتي اصبحهنّ وجهاً[1]واقلهنّ مهراً».[2]

وقال صلى الله عليه وآله: «القناعة مال لا ينفد».[3]

وعن علي عليه السلام: «لا كنز اغنى من القناعة».[4]

وذلك من أسرار السعادة وتحرك الشباب بشكل أكثر جدية نحو الأمام فإن الزوجين يتعاونان على تقديم الحياة ـ بعد الزواج ـ إلى الامام، وربما يكون ذلك مما يوضح بعض السر في قوله تعالى: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾[5] بينما غلاء المهور وتعقيد مقدمات وبرامج الزواج وزيادة التشريفات يوجب التاخير في الزواج أو يؤدي بالكثير إلى البقاء عزاباً وعوانس مدى الحياة بما يستلزم ذلك من أضرار وأخطار.

وكذلك ادارتها «صلوات الله عليها» لشؤون البيت، حيث فُوّضت إليها الأمور الداخلية، والخارجية إلى علي عليه السلام فإنها توجب الراحة النفسية والصحة الجسدية، إذ انّ الأعمال الشاقة - وإن كانت مقرونة بالتعب والنصب - توجب الصحّة والسلامة، بينما الراحة والدعة تؤديان إلى مختلف الأمراض.

ومما يؤيّد هذا المعنى هو ان التاريخ ـ حسب الإستقراء الناقص ـ لم يسجّل

(١) قد يكون المراد بالصباحة ههنا: الطلاقة والإشراق لا الجمال، والوجه يكتسي بالصباحة والإشراق بتأثير الحالة المعنوية والروحية والاخلاقية للإنسان، قال في مجمع البحرين: «وقد صَبُحَ الوجه صباحةً: اشرق وأنار» وقال في لسان العرب: «الصبيح: الوضيء الوجه».

(٢) وسائل الشيعة: ١٥/ ١٠ ب ٥ ح ٩.

(٣) نهج الفصاحة: ٤٤٨ ح ٢١١١ ط طهران.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٧١.

(٥) النور: ٣٢.

لها «صلوات اللّه عليها» تمرضاً إلاّ مرة واحدة.

أمّا مرضها الأخير فهو وليد الصدمة التي تعرَّضت لها بين الحائط والباب والتي انتهت إلى شهادتها ووفاتها «صلوات اللّه عليها».

ولعله لأجل تعليم الأمة على الكدح والعمل لم يمنحها الرسول ﷺ خادمة عندما طلبت منه ذلك مع انه ﷺ الكريم الرؤوف، وذلك حتى تكون ﷺ أسوة في العمل بنفسها لنساء المسلمين، وربما كان طلبها ﷺ وعدم تلبيته ﷺ بمجمله تعليمياً.

أما حصولها «عليها السلام» على فضة، فهو ممّا دعت إليه الضرورة حيث تراكمت عليها الاعمال اليدوية الشاقة من الطحن والخبز والغسل وغير ذلك، بالإضافة إلى أطفالها الصغار وضرورة الإهتمام بشؤونهم إلى جانب ان النساء كنّ يرجعن إليها في كثير من شؤونهنّ ومسائلهن، ثم نجد بعد حصولها على فضة ان النبي ﷺ قد قسم العمل بينهما، يوماً لها ويوماً لفضّة كما في النص(١) وهذا أيضاً بالإضافة إلى كونه تعليماً للأمة على مشاطرة من هم أدنى منزلة في الهموم والمهام يتضمّن تأكيداً للإلتزام بالعمل والكد والكدح رغم وجود البديل.

والجدير بالذكر ان فضة كانت متزوّجة ذات أُسرة، وقد يظهر ذلك من خبر قراءتها للقرآن في سفرة الحج وتلقي أولادها لها في المنزل كما هو شأن الإسلام حيث لا يدع بنتاً بلا زوج، حتى قال سلمان المحمدي وهو حاكم في المدائن عند ما تزوح امرأة هناك فوجد عندها بنتاً ـ من زوجها السابق ـ غير متزوّجة: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول (ما مضمونه): لو لم تزوّج البنت في الدار فزنت كان عقاب الزنا على أهل الدار.

---

(١) راجع دلائل الإمامة للطبري ص ٤٩ ط نجف، ومسند فاطمة «سلام اللّه عليها» ص ٤٢ ح ٩ ط طهران. والخرائج كما في البحار عنه ج ٢٨/٤٣ ح ٣٣.

أما طحنها ﷺ وعجنها وخبزها وطبخها وغزلها وغسل الملابس ورعاية الاولاد وقيامها بإنجاز العشرات من الحاجات البيتية بنفسها «صلوات الله عليها» أو بمساعدة فضة، ففي كل ذلك تعليم لكيفية سلوك الزوجة في الحياة الزوجية.

ولو راج مثل ذلك في بيوتنا فهل بعد ذلك كنا نحتاج إلى استيراد كل شيء من الغرب والشرق حتى اللحم وغيره من الأوليات والضروريات؟

كما ان قولها «سلام الله عليها» لعلي ﷺ: «ما عهدتني كاذبة ولا خائنة»[١] تعليم لكيفية سلوك الزوجات مع الأزواج، وإلاّ فعليّ ﷺ كان يعلم ذلك.

وهكذا نجد في عدم دخول النبي ﷺ دارها لما رأى ستراً على الباب[٢] تعليماً آخر لنا، ولعل الزهراء ﷺ تعمدت وضع الستر حتى يكون مدعاة للتعليم، كي لا ترفل النساء في النعيم بينما كثير من الناس يعانون شظف العيش وقد قال ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع».[٣]

إلى غير ذلك من النقاط المشرقة في سيرتها ﷺ الوضاءة، وكلها عِبَر وبرامج تربوية ومناهج للسعادة الدنيوية والأخروية.

*محمد الشيرازي*

*قم المقدسة*

*١٤١٤ هـ*

---

(١) روضة الواعظين: ص ١٨١ ط قم.

(٢) راجع مناقب ابن شهراشوب: ٣ / ٣٤٣ ط قم. ورواه البحار عنه في ج ٤٣/٨٦.

(٣) وسائل الشيعة: ٨ / ٤٩٠ ب ٨٨ ح ١.




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين


## الطبعة الأولى

## ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م


**اللّهمَّ صَلِّ على محمد وأهل بيته**
**وصلِّ على البتول الطاهرة**
**والصديقة المعصومة التقية النقية**
**الرضية المرضية الزكية الرشيدة**
**المظلومة المقهورة**

بحار الانوار: ٩٧ / ٢٠٠ ح ٢٠ ب ٥ ط بيروت





